السيّد محمّد المجاهد (1180-1242هـ)

ودوره في محاربة الاستعمار الروسيّ في إيران

السيّد إبراهيم الشريفي[1]

الملخّص

قدّم الباحث في المبحث الأول نبذةً موجزةً عن حياة السيد المجاهد، مع سبب تلقيبه بالـ(المجاهد)، مع الإشارة إلى أبرز أساتذته وتحصيله العلمي في حوزة كربلاء ثم رحيله إلى مدينة أصفهان عام ١٢١٨هـ التي مكث فيها ثلاث عشرة سنة بصفته مدرّسًا يحضر مجلسه أهل العلم، لينتهي المطاف به إلى كربلاء مرة أخرى، وقد تسنَم الزعامة الدينيّة في عصره، والتفَ علماء عصره حوله. وقد ذكر الباحث عددًا من مؤلفّاته التي كانت خمسة منها في الفقه، وثلاثة في الأصول، وواحد في العقيدة ومثله في الحديث.

وتعرّض الباحث في المبحث الثاني إلى عدّة أحداث منها، إصدار فتوى السيّد المجاهد بمحاربة المستعمرين، معللاً ذلك بأنّ الوظيفة الشرعيّة لعلمًاء مدرسة أهل البيت في عصر الغيبة هي حماية ثغورَ البلاد الإسلاميّة من هجمات الأعداء، وأرسال الروس مبعوثًا للصلح ورفض العلماء كل مقترحاته، كما أنّ السفير البريطاني قد استغل الفتوى ضد الروس والإفادة من النفير العام حيث استأجر بعض العملاء بصورة تجّار لشراء المواد الغذائيّة واحتكارها كي تحدث الفوضى في المجتمع، وقد ساند الشاه القاجاري فتوى الجهاد وكانت هذه المساندة من عوامل التهيئة للحرب.

وقد مرّت الحرب بعدّة مراحل، منها مرحلة الانتصارات التي استطاع الجيش الإيراني الانتصار فيها على الروس، واسترجاع أغلب أراضيه، ومرحلة الخسارة التي تعرّضت لها إيران على صعيدين: الأوّل حين قتل القائد أمير خان، والثاني خيانة بعض قادة الجيش عندما لم يهيّئوا العتاد للجيش.

وتمثّلت المرحلتان الأخيرتان بنجاح الهجوم الروسي على العديد من المدن الإيرانيّة بسبب عدم وجود إمدادٍ للجبهات العسكريّة، ومحاولة اغتيال السيّد المجاهد وإحباطها من قبل الشاه القاجاري.

الكلمات المفتاحية: السيّد المجاهد، الاستعمار الروسي، إيران، فتوى الجهاد، علماء الشيعة.

---

١. باحث في التراث الإسلامي، الحوزة العلميّة في النجف الأشرف.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلائق أجمعين محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

إنّ المطامع الاستعماريّة الأجنبيّة لم تنفك تهدّد بلاد المسلمين في كلّ مكانٍ وأهدافٍ ذلك واضحة ومعالمها بيّنة، فتارةً يكون للاستعمار مدعياتٌ برّاقةٌ خادعةٌ نحو الحريّة والتنوير والتطوّر والسعي بالبلدان المحرومة نحو الرفاهيّة وغيرها من الخدع البرّاقة، وأخرى تكون بالاستيلاء العسكري القهري على الأراضي الإسلاميّة لنهب خيراتها وسلب إمكاناتها وتجنيدها لصالح المستعمِر، إلّا أنّ الكثير من هذه الخطط المقيتة تبوء بالفشل نتيجةً لوعي الأمّة والتفافها حول قياداتها الدينيّة الرشيدة، وحقب التاريخ فيها شواهد كثيرة ومواقف نبيلة وفي هذه الصفحات القليلة نستعرض موقفًا نبيلاً من قبل قادة الدِّين ضدّ ثعابين الاستعمار الروسي ألَا وهو موقف السيّد محمّد بن السيّد علي الطباطبائي الحائري المعروف بالسيّد المجاهد (ت١٢٤٢هـ) وموقفه تجسّد حينما تعدّت الجيوش الاستعماريّة الروسية على بعض بلاد إيران في سنة (١٨٢٦-١٨٢٨م).

هذا موقف وربّما نتعرّض لمواقف رجال آخرين تحمل الغيرة والحميّة ذاتها على البلاد والعباد والحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول

إطلالةٌ موجزةٌ على حياة السيّد المجاهد

مَن هو السيّد المجاهد؟

هو السيّد محمّد (الحائريّ الطباطبائيّ المجاهد) ابن السيّد عليّ (صاحب الرياض) (ت١٢٤٢هـ).

لقّب بـ(المجاهد)؛ عندما أصدر فتوى الجهاد لمحاربة الروس حين اعتدت روسيا على إيران في زمن فتح علي شاه القاجاريّ سلطان إيران آنذاك، وكان ذلك في سنة (١٨٢٦-١٨٢٨م).

وُلد السيّد المجاهد في كربلاء المقدّسة في سنة (١١٨٠هـ)[1] تقريبًا.

وقد نشأ في أحضان أسرةٍ علميةٍ غنيةٍ عن التعريف. وكان من أبرز أساتذته:

١. ينظر: الخوانساري، السيّد محمّد باقر الموسويّ، روضات الجنات: ١٤٥/٧.

١. والده السيد علي صاحب الرياض (ت١٢٣١هـ).

٢. السيّد محمّد مهدي بحر العلوم (ت١٢١٢هـ)

٣. السيّد محسن بن الحسن بن مرتـضى الأعرجيّ (ت١٢٢٧هـ)

وبعد إكمال تحصيله العلمي في حوزة كربلاء المقدسة ـــ التي كانت محطَّ أنظار أهل العلم حيث وجود رؤساء المذهب هناك كجدّه لأُمّه الشيخ الوحيد البهبهاني (ت١٢٠٥هـ) وغيره ـــ رحل السيّد المجاهد إلى مدينة أصفهان سنة (١٢١٨هـ)[١]، أو قبل ذلك بقليل.

ومكث في أصفهان ثلاث عـشرة سنة تقريبًا، مرجعًا وأُستاذًا في البحث العلمي، تزدلف إليه طلبة العِلم من كلّ مكان، يقول السيّد الجابلقيّ: «جاء بديار العجم، وتوطّن في أصفهان، وبقي هناك ثلاث عشـرة سنة، وكان مدرّسًا، والجميع يحضرون مجلسه، وحضرتُ مجلسه في أصفهان، ولعمري إنّه كان أحسن بيانًا من كلّ أحد، ويبيّن المسائل الغامضة والمطالب الدقيقة بأحسن بيان، ويفهم درسه كلّ طالب وإن كان مبتدئًا»[٢].

وبعد وفاة والده صاحب الرياض رجع السيّد المجاهد إلى موطن ولادته كربلاء المقدّسة، وتزعّم فيها الحوزة العلميّة، وتسلّم مهام المرجعيّة الدينيّة، وصار رئيس الدين والدنيا، خلفًا لوالده السيّد صاحب الرياض.

قال تلميذه السيّد الجابلقيّ: «وبعد موت والده السيّد علي الطباطبائيّ ارتحل إلى الحائر، وكان مفتيًا، وحاكمًا، وقاضيًا، ورئيسًا في الدين والدنيا، ومرجعًا للعرب والعجم، انتهت رئاسة الإماميّة إليه في عـصره، وكان سلطان العصر فتح علي شاه القاجار في نهاية التلطّف والاعتناء به ويطيعه في كلّ الأُمور»[٣].

وقد انتهت لسيّدنا المجاهد الزعامة الدينيّة في عـصره، فقد رجع إليه غالبيّة العوامّ والخواصّ من أتباع مذهب أهل البيت؟عهم؟، وعلى ذلك فقد كتب رسالته العمليّة (إصلاح العمل) لمقلّديه، وممّا يشهد لمرجعيّته العامّة وسعة انتشار مقلّديه في الأقطار كافة انتشار هذه الرسالة عند الخاصّة والعامّة، وكثرة استنساخها، وقيام أكثر من شخصٍ من تلامذته الأعلام باختصارها وترجمتها،

١. يُنظر: الطهراني، الشيخ آغا بزرك، الكرام البررة، ق١٠٠/٣، (الهامش).

٢. الموسويّ، السيّد محمّد شفيع، الروضة البهية في الإجازة الشفيعيّة، ص٣٦.

٣. المصدر نفسه.

وكذلك إصداره إجازات لبعض تلامذته بنقل فتاواه ممّا يشهد بوجود الحاجة إلى ذلك، وكذلك الوكالات التي أعطاها لأهل العلم من تلامذته؛ لقبض الحقوق الشرعيّة وصرفها في مواردها كما سيأتي نصّها في مبحث الإجازات.

هذا بالإضافة إلى التفاف جلّ علماء عصـره حوله مع وجود كبار الأعلام والمحقّقين في الحوزات العلميّة كالنجف الأشرف، والكاظميّة، وأصفهان وغيرها، وكذلك الرجوع إليه في فضّ الخصومات الاجتماعيّة والسياسيّة والدينيّة، حتّى في تصديق اجتهاد المجتهدين، يقول التنكابنيّ: «في السنة التي توجّه فيها السيّد محمّد إلى سفر الجهاد كان معه أكثر علماء إيران، فكانوا يجتمعون إليه كلّ ليلة، وتجري المباحثات العلميّة، فطلبوا من السيّد محمّد التصديق باجتهاد مَن يراه مجتهدًا، وهم يقبلون كلّ من يعترف له بذلك تعبّدًا واحترامًا له؛ لأنّه كان أُستاذ الأكثر وابن أُستاذ جمع آخر»[١].

أبرز مؤلّفاته:

صدر عن يراعه المبارك عدّة مؤلَّفات كان من أبرزها:

١. الإصلاح (الإصلاح وفيه الفوز والفلاح): وهي رسالةٌ عمليّةٌ ألَّفها لمقَلِّديه.

٢. جامع الأقوال (جامع العبائر): كتابٌ فقهيّ جمع فيه أقوال الفقهاء في كلّ مسألةٍ دون تحقيق واستدلال.

٣. الجهاد العبّاسي (الجهاديّة) رسالةٌ فقهيّةٌ في أحكام الجهاد كتبها بطلب من الميرزا عباس.

٤. عمدة المقال في أحوال الرجال.

٥. المصابيح في الفقه: كتابٌ فقهيٌّ استدلاليٌّ كبير، كانت بداية تأليفه في أصفهان.

٦. المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر: ألَّفه ردًّا على مُبشرٍ نصـرانيّ عرف بالپادريّ.

٧. مفاتيح الأصول: في علم أصول الفقه.

٨. المقلاد (حجّيّة المظنّة): رسالةٌ مستقلّةٌ في حجّيّة الظن المطلق.

٩. المناهل: كتابٌ فقهيٌّ استدلاليٌّ كبير.

١٠. الوسائل الحائريّة: كتابٌ مبسوطٌ في أصول الفقه.

---

١. التنكابني، محمد بن سليمان، قصص العلماء ص٥١-٥٢.

وفاته ومدفنه

تُوفّي السيّد المجاهد في قزوين عند رجوعه من حرب الروس، وذُكر في سبب وفاته أنّه أصابه الهمّ والغمّ والكمد بسبب الخسارة التي لحقت جيش المسلمين الذي كان يُشرف عليه بنفسه، فبقي السيّد قرابة سبعة أيّامٍ لم يتكلّم واجمًا من الوجد، ولمّا وصل إلى قزوين فارق الدنيا إلى دار النعيم، وحمل جثمانه الشريف إلى كربلاء المشرّفة، فدفن فيها.

وكانت وفاته على ما ذكره تلميذه الأمير السيّد محمّد علي الشهرستانيّ في ليلة السبت ٢٤ ربيع الثاني سنة (١٢٤٢هـ)، وقد جاء في تاريخها:

نَظروا لآفاق السَّماء فأرّخوا:

(فتَحَتْ لروحِ محمّدٍ أبوابُها)

١

ودُفن في مقبرةٍ خاصّةٍ تقع في رأس سوق التجّار الكبير قرب الصحن الحسينيّ الشريف، على مقربة أمتار معدودة من شارع الإمام علي؟ع؟، وقد شيّد على قبره ضريح تعلوه قبّة خضراء موشّاة بالكاشانيّ، وبقي القبر شاخصًا يتوافد إليه المحبّون إلى أن أزيل مع مجموعةٍ كبيرةٍ من الأبنية عام (١٩٧٩م) عندما جرى توسيع وتطوير ما بين الحرمين الشريفين في كربلاء، حيث أصبح ضمن الساحة الكبيرة بين الحرمين[٢]. واليوم يوجد له قبرٌ رمزيّ تعلوه قبّة خضراء في ما بين الحرمين.

المبحث الثاني

إصدار فتواه بمحاربة المستعمِرين

إنَّ من أبرز الوظائف الشرعيّة الملقاة على عاتق علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام - في عصر الغيبة الكبرى- حماية ثغور المسلمين، والتصدّي لهجمات أعداء الإسلام في أيّ بقعةٍ من بقاع الأرض- مع القدرة والتمكّن من ذلك- سواء كان على مستوى الانحراف العقائدي والفكري أم انتهاك الأعراض والأموال وغير ذلك، وقد حَدَث في العصور السابقة والحالية ما يؤيّد ذلك، وكان من بين هؤلاء العلماء البارزين في هذا المضمار السيّد محمّد المجاهد الطباطبائي المرجع الدينيّ الكبير في وقته، حيث تصدّى للاعتداء الروسيّ وحروبهم المتتابعة لاحتلال بلاد المسلمين في

١. يُنظر: الطهراني، الشيخ آغا بزرك، الكرام البررة، ص٤٢٥، الرقم: ٦٧٦؛ النقويّ، السيّد علي نقي أقرب المجازات، ص١٣٥.

٢. ينظر: القصير، محمد علي، بيوتات كربلاء القديمة، ص١٦٥.

القفقاز والبلاد المجاورة الأخرى، وما رافق ذلك من جرائم حرب من قتلٍ وتعدٍّ على الأعراض وهدم المساجد ومحاولات لتغيير عقائد المسلمين، وكان ذلك إبّان الدولة القاجاريّة، وإليك أبرز أحداثها:

أوّلًا: فتوى الجهاد

تُعدّ فتوى الجهاد التي أطلقها السيّد - وعلى أساسها عرف ولقّب بـالمجاهد - أبرز حدثٍ تاريخيٍّ في حياته الشـريفة، ومنعطفًا تاريخيًّا بارزًا في سيرته، بل في تاريخ الشيعة، الأمر الذي ينبغي أنّ تخصّص له دراسات مستقلّة، وهو ما تفتقده المكتبة الإسلاميّة، خاصّة مع ما نراه من كلماتٍ وأقاويل غير دقيقة بشأن تلك الفتوى، والجهاد الذي انبرى له ثلّة من أجلّة علماء الطائفة، ممّا ألزمنا أن نتعرّض لأهمّ حوداثه، اعتمادًا على أوثق المصادر وأقدمها، وعلى المصنّفات التي عاصرت الفتوى والحرب، توضيحًا للشبهات الملفّقة، وردًّا للاتّهامات المزيّفة.

أ. أسباب الفتوى بالجهاد

وينبغي أنْ نشير إلى أنّ هذه الحرب كانت الثانية مع الروس، فقد سبقتها حرب أولى في شهر شوّال من سنة ١٢١٨ هـ، حيث هاجمت روسيا القيـصرية گنجة، وانتهت المعركة بعد عـشر سنوات في شوّال من سنة ١٢٢٨هـ بمعاهدة گلستان، وفي تلك المعركة استنجدت الدولة القاجاريّة بالعلماء والمراجع، حيث كانت تشتكي من حملات الروس من الخارج، واضطرابات وتمرّدات في الداخل، فأرسلوا عدّة رسل إلى العلماء والمراجع في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة لغرض استحصال فتوى الجهاد على الروس.

وبذلك صدرت الفتوى من مراجع الدين العظام: الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٧ هـ)، والسيّد عليّ الطباطبائيّ صاحب الرياض (ت١٢٣١هـ)، والميرزا أبو القاسم القمّيّ صاحب القوانين (ت ١٢٣١ هـ)، والسيّد المير محمّد حسين الخاتون آباديّ إمام جمعة أصفهان (ت ١٢٣٣هـ)، والملاّ أحمد النراقيّ (ت ١٢٤٥هـ) والسيّد محمّد المجاهد (ت١٢٤٢هـ)[١].

وقد اندلعت المعركة مرّةً أخرى بين إيران والروس بعد ثلاثة عـشر عامًا من الحرب الأولى في ذي الحجّة الحرام من سنة ١٢٤١ هـ، وانتهت في شعبان من سنة ١٢٤٣هـ؛ نتيجةً لتعدّيات الروس على الحدود الإيرانيّة، واضطهاد المسلمين، والتعرّض لأعراض الشيعة وأموالهم، وغصب ما في أيدي المزارعين.

١. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية)، ص١٨١/١؛ الأمين، حسن، دائرة المعارف الشيعية، ٤٨٧/٥.

قال وقائع نگار المروزي (ت ١٢٥٠ هـ) في مذكّراته التي كتبها في تلك الحقبة ما ترجمته: وفي أوائل سنة ١٢٤١ هـ قبل أن يهجم الجيش الإيراني حدثت عدّة وقائع، منها أنّ الروس استولت على مناطق عديدة، منها: قراباغ وشيروان وگنجة، وقد عبث الجنود الروس في تلك الولايات، وقد ألحقوا أنواع الأذى بالقاطنين بتلك النواحي، من غصب ما بيد المزارعين من أموال وآلات وعبث في المزارع وغير ذلك، حتّى تركوا الناس في الفقر والمحن.

وقد أدّت هذه الأمور إلى شكوى ساكني تلك الولايات الثلاث، ولم يجدوا مغيثًا لإنقاذهم من تعدّيات الجيش الروسيّ عليهم، سوى الاستنجاد بالعلماء، فأرسلوا مبعوثًا خاصًّا إلى العلماء والمراجع ساكني العتبات العاليات، كالآقا السيّد محمّد الأصفهانيّ [الطباطبائيّ] وغيره من العلماء، يشكون من تعدّيات الروس وأعمالهم الفظيعة في حقّ المسلمين، وطلبوا الاستغاثة؛ لنجاة الناس من مخالب الروس.

ولمّا وصل المبعوث إلى النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة، وعرض الأمر على العلماء، وافق عامّة العلماء على طلبهم، إلّا أنّ آية الله [السيّد] محمّد المجتهد الأصفهانيّ [الطباطبائيّ المجاهد] رأى بمقتضى الصلاح والرأي الصائب إطلاع دولة إيران على شكاوى الناس أوّلًا، وإيقافها على مطالبهم، وخشية أن تخالف الدولة الإيرانيّة لنقض المعاهدة بينها وبين الدولة الروسية، فاتّفق آراء جمهور المجتهدين على إرسال الملّا رضا الخوئي ومعه جواز حكم جهاد المسلمين على الروس إلى البلاط القاجاري، وقد رجع الملّا رضا الخوئي إلى العتبات برسالة الشاه بالموافقة على ذلك.

ولمّا رأى العلماء موافقة الدولة على الجهاد العام، هيّأوا الأسباب، وقد دخل عدّة من العلماء إلى إيران بالعزم على الجهاد مع الروس، وقد انبرى الناس لاستقبال العلماء بحفاوة بالغة، وكان العلماء إذا دخلوا بلدةً أشاعوا فيها روح الأخوّة والوطنيّة، وشجّعوا الناس على الجهاد ضدّ الروس، ومن يوم دخولهم إلى إيران أرسلوا الرسائل بواسطة المعتمدين إلى جميع الفضلاء في البلاد الإسلاميّة، ودعوا المسلمين إلى الجهاد.

وقد تكفّل الناس بتكاليف الحرب من أيّامها الأُولى من تهيئة العدّة ومصاريف الجيش، مضافًا إلى تعيين ثلاث مئة ألف تومان من قبل الدولة[١].

١. حسين آذر، منوچهر اسكندرى، آهنگ سروش: ٢٣٢ -٢٣٣.

قال لسان الملك سپهر (ت ١٢٥٩ هـ) في تاريخ القاجارية من ناسخ التواريخ في وقائع سنة ١٢٤١ هـ: «وفي هذه السنة عزم الشاه على محاربة الروس، لنقضهم المعاهدة بين الدولتين، وتجاوزهم لقلعة بالغ لوي في إيروان، وفي هذه الفترة أيضًا تسلّطوا على أراضي المسلمين، وتعرّضوا لأعراضهم، وغصبوا أموال الناس»[١].

وذكر ذلك الميرزا فضل الله الشيرازيّ (ت ١٢٦٧ هـ) في كتابه تاريخ ذي القرنين الذي وضعه لتأريخ الدولة القاجاريّة بتفصيل أكثر، قال: «إنّ في هذه المدّة استولت الدولة الروسيّة على ولايات گنجة وقراباغ وشيروانات وغيرها، وفور الاستيلاء عليها تعرّضوا لأعراض ونواميس المسلمين، وبنوا على الإيذاء والإضرار بهم من باب الدِّين والمذهب... وقد أرسل العلماء والفضلاء من تلك الديار إلى جناب مجتهد الزمان حضـرة الآقا السيّد محمّد نجل الآقا السيّد علي الأصفهانيّ... »[٢].

ومن ذلك يعرف بعض ما كان عليه الشيعة في تلك المناطق من الاضطهاد والتنكيل، وأنّهم لم يجدوا معينًا لهم سوى العلماء ومراجع الدِّين.

ب. إرسال الروس مبعوثًا للصلح:

وذكر لسان الملك سپهر أيضًا أنّ في ١٦ ذي القعدة [سنة ١٢٤١ هـ] دخل مبعوث الروس مع هدايا إلى الشاه، ولمّا لم يستطع إقناع الشاه أو البلاط القاجاري التقى بالعلماء، فأجاب العلماء: أنّ الروس لو خرجت من حدود إيران لحاربناهم أيضًا.

وقد نصّ لسان الملك سپهر أيضًا على أنّ الروس كانت مستمرّة في التجاوز على الحدود الإيرانيّة، مع وجود السفير الروسي في طهران لاستمالة شاه القاجار، وقد احتلّ الروس في الوقت نفسه أرّان وإيروان[٣].

وقد نصّ وقائع نگار المروزي في مذكّراته أنّ السفير الروسيّ دخل إيران والعلماء مجتمعون في قزوين، فطلب الدخول عليهم، فأذن له، لكنهم لم يجيبوه إلى ما طلب، ومـضى العلماء في حركتهم إلى قلب المعسكر في السلطانيّة.

١. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية)، ٣٦٣/١.

٢. تاريخ ذي القرنين: ٦١٢/١.

٣. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية)، ٣٦٥/١ - ٣٦٦.

كما نصّ وقائع نگار المروزي أيضًا على أنّ السفير الروسي في أثناء وجوده في البلاط القاجاري - وهو يزعم أنّه يحمل رسالة صلح من الملك الروسي- وصل مبعوثٌ برسالةٍ مغلّفةٍ من الحدود الإيرانيّة الروسيّة، وفيها أنّ الروس هجمت على إيروان، واستولت عليها في منتصف الليل، وأرعبوا الناس بكلّ وحشيّة، حتّى أنّ قريةً كاملةً أحرقت لمقاومة أهلها، ورميت بالمدفعيّات، حتّى احتلّوها بعد قتلٍ كثيرٍ من الرجال والنساء والأطفال، ممّا رسّخ في نفوس المجتهدين وجوب الجهاد ضدّ الروس، وكذلك كان اعتقاد نائب السلطنة [عباس ميرزا][١].

ولم تكن الدول الأجنبيّة بعيدةً عن الساحة، فقد ذكر المؤرّخون أنّ السفير البريطانيّ استثمر الفتوى والنفير العام للعبث بالبلاد وإيجاد الفوضى، فقد استأجر عدّة أشخاص خفيةً على أنّهم تجّار؛ لـشراء ما في المدن من غلّات المزارعين، وحكرها في موضعٍ خاصّ، ولمّا استمرّ الأمر وكاد أنْ يحصل القحط في مدّةٍ قصيرةٍ انكشف أمره، واطّلع أمناء الدولة الإيرانيّة على أعمال السفير البريطانيّ، ورفع أمره إلى الدولة البريطانيّة، وطالبت الدولة الإيرانيّة بعزله، فتمّت الموافقة على العزل، وطُرد من إيران، وعُيّن بدله سفير آخر[٢].

وكان اندلاع هذه الحرب نتيجة لسوء معاملة الروس والمظالم التي ارتكبوها ضدّ المسلمين في تلك النواحي، من: دربند وقبه وكنجه وشيروان وغيرها من بلاد القفقاز، ممّا دعا الأهالي لمكاتبة علماء الدين في العراق وإيران، وحثّهم على الوقوف بوجه هذا الظلم، فاستغاث أهلها بالسيّد المترجَم له، وكرّروا الرسل إليه مستغيثين، وكتبوا إليه أنّ الروس غلبوا علينا ويأمروننا بإرسال أبنائنا إلى معلّميهم لتعليم مراسيم دينهم وشريعتهم، ويتجرّؤون على القرآن والمساجد وسائر شعائر الإسلام، فأمر السيّد بالجهاد[٣].

ج. التهيئة للحرب:

قال لسان الملك سپهر: «ولمّا عرف الآقا السيّد محمّد [الطباطبائيّ] ما في نيّة الشاه، عزم على السفر إلى دار الخلافة طهران، فدخلها في أواخر شهر شوّال [سنة ١٢٤١ هـ]، وخرج جميع الأُمراء والعلماء لاستقباله، وكذلك استقبله الشاه بحفاوةٍ عظيمة، وأجرى للجيش أكثر من ثلاث

١. حسين آذر، منوچهر اسكندرى، آهنگ سروش: ٢٣٥ - ٢٣٦.

٢. حسين آذر، منوچهر اسكندرى، آهنگ سروش: ٢٣٣ -٢٣٤.

٣. ينظر: النقويّ، السيّد علي نقي، أقرب المجازات، ص١٣٦.

مئة ألف من الذهب المسكوك من الخزانة الخاصّة لتجهيز العسكر. وقد كاتب الآقا السيّد محمّد الطباطبائي جميع العلماء في إيران، تحريضًا على الجهاد. وقد أوكل الشاه القاجاري لأمين الدولة عبد الله خان ضيافةَ السيّد المجاهد ومَن معه من العلماء... وفي يوم السبت ٢٦ شوال [١٢٤١ هـ] خرج الشاه [فتح علي القاجاري] من طهران، ودخل سليمانيّة [كذا في المصدر]، وبعد مسير أربعة أيامٍ دخل وادي سلطانيّة، وجعلها مقرًّا للمعسكر»[١].

وقال أيضًا: «وفي يوم الجمعة ١٧ ذي القعدة الحرام دخل المعسكر جناب الآقا السيّد محمّد [الطباطبائيّ]، والحاج الملاّ محمّد جعفر الاسترآباديّ، والآقا السيّد نـصر الله الاسترآباديّ، والحاج السيّد محمّد تقيّ القزوينيّ، والسيّد عزيز الله طالش، وسائر العلماء والفضلاء، وقام الأمراء وأبناء الملوك بضيافتهم. وفي يوم السبت ١٨ [ذي الحجّة الحرام سنة ١٢٤١ هـ]، وصل المعسكر جناب الحاج الملاّ أحمد النراقيّ الكاشانيّ، مع جناب الحاج الملاّ عبد الوهّاب القزوينيّ، وجماعةٍ آخرين من العلماء، وكذلك الحاج الملاّ محمّد ابن الحاج الملا أحمد الذي كان قدوة المجتهدين، وقد انبرى جميع أبناء الملوك وقاطبة الأُمراء والأعيان لاستقبالهم، وأنزلوهم محلّ الإجلال والتجليل بالتكبير والتهليل، وصدرت الفتوى من جماعة المجتهدين: أنّ الجهاد مع الروس واجب، ومن تقاعس فقد خالف إطاعة الله، واتّبع الشيطان. وكذلك حكم الشاه [فتح علي شاه القاجاري] ووليّ عهده [عباس ميرزا] بتأييد الفتوى، ولم يخالف من بينهم سوى معتمد الدولة الميرزا عبد الوهّاب، والحاج الميرزا أبو الحسن خان وزير الخارجيّة»[٢].

وقد ذكر الميرزا فضل الله الشيرازيّ هذا الاجتماع ببسط أكثر، وتفاصيل وفود الجموع من العلماء والفضلاء من جميع البلاد، والأُمراء والخوانين والأعيان وسائر الناس في المعسكر، وإجماعهم على لزوم محاربة الروس الأشرار، والمهمّ في ما ذكر هو فتوى الجهاد التي أمضاها جميع العلماء، وأنّ صورة الفتوى كانت ما ترجمته: «جهاد كفرة روسيا واجب، ومنكر هذا العمل متّبع للشيطان، وللخلود في النيران طالب»[٣].

---

١. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية): ٣٦٤/١.

٢. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية): ٣٦٦/١.

٣. تاريخ ذي القرنين: ٦١٦/١، ونص الفتوى بالفارسية: (جهاد با كفره روسيه واجب است ومنكر اين عمل، متابعت شيطان وخلود در نار نيران را طالب).

وقد أكّد الميرزا فضل الله الشيرازيّ على إجماع الجميع على الحرب ولزومه، بما فيهم الملك نفسه ووليّ عهده عباس ميرزا، حيث قال: «وقد كان الملك مصدّقًا للجهاد ومعتقدًا به، وكذلك نائب السلطنة صدّقه بجهاته المختلفة، وكان جميع الأُمراء والوزراء راغبين في الإقدام على الحرب، إلاّ معتمد الدولة والحاج ميرزا أبو الحسن خان وزير الخارجيّة»[١].

وقد ذكر وقائع نگار المروزي في مذكراته: «أنّ نائب السلطنة عباس ميرزا ردّ على معتمد الدول أنّ الدولة الروسيّة حتّى الآن لم تف بأيّ واحدةٍ من تعهّداتها، كما هو المشاهد الآن، فهم من جهةٍ يبعثون رسولاً لتحكيم المودّة إلى البلاط القاجاريّ، ومن جهةٍ أخرى يتجاوزون على الحدود الإيرانيّة، وعدّد دلائل كثيرة على وجوب صدّهم، والحدّ من تعدّياتهم»[٢].

ومن هذه النصوص التاريخيّة تعرف عدم صحّة ما يقال من عدم موافقة الشاه على الحرب[٣]، فقد كان الشاه ووليّ عهده وعامّة الوزراء والأُمراء يرون لزوم الحرب، بل كان الشاه بنفسه عازمًا على الحرب، وقد نصّ لسان الملك سپهر أنّ ممّن أوصل رسائل الناس من تلك الولايات إلى السيّد المجاهد في كربلاء هم جماعة نائب السلطنة نفسه[٤].

وكانت روسيا هي من نقضت العهد، ولم يخالف من الوزراء غير معتمد الدولة وأبي الحسن الإيلجي، وقد يكون معتمد الدولة صادقًا في مدّعاه، إلاّ أنّ الثاني كان فاسدًا وعميلاً لبريطانيا، كما ذكره المؤرّخون[٥].

وقد كانت الدولة القاجاريّة غير راضيةٍ عن معاهدة گلستان بعد الحرب الأُولى، وكانت تريد استرجاع ما خسرته في تلك المعركة، حتّى بعثت عدّة رسل إلى روسيا ولم تستفد شيئًا[٦]، فلم

---

١. تاريخ ذي القرنين: ٦١٧/١.

٢. آهنگ سروش: ٢٣٦.

٣. سعيد نفيسي، ، تاريخ اجتماعي و سياسي ايران، دين ودولت در ايران، انتشارات بنياد، ١٩٩٧م، ١٤٨: ١٥١/٢.

٤. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية): ٣٦٣/١.

٥. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ: ٣٦٦/١، مهدي بامداد، شرح حال رجال ايران، كتابفروشى زوار، ١٣٥٧هـ ش، ٣٢٠/٢.

٦. المدني، السيد جلال الدين، تاريخ إيران السياسي المعاصر، ترجمة سالم مشكور، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ١٥٨/١.

تجد سببًا لاسترجاع تلك المناطق غير الحرب[١].

قال السيّد محمّد شفيع الجابلقي: «ولمّا استولوا على ولاية المسلمين من بلاد دربند وقبّة وكنجة وشيروان وغيرها من ولايات الأطراف، وكتب المسلمون إلى جناب السيّد الأستاذ أحوالهم، وأنّ الكفّار قد غلبوا علينا، وأمرونا بإرسال الأطفال إلى معلّميهم لتعليم رسوم دينهم وشريعتهم، ويجرؤون بالنسبة إلى القرآن والمساجد وسائر شعائر الإسلام، ولذا أمر بالجهاد، وذهب السيّد الأستاذ نفسه أيضًا مع جمع كثير من العلماء والطلّاب والمتديّنين والصلحاء»[٢].

ومن ذلك يعلم أنّه قد شبّت نار الحرب نتيجة غزو الروس لمناطق المسلمين وتعاملهم الوحشي مع سكّان تلك المناطق قتلاً وتنكيلاً وتجاوزاً على الأعراض، وعملهم على تغيير دين الناس بأمرهم بإرسال أولاد المسلمين إلى المعلّمين الروس لتعليمهم دينهم، وهدمهم للمساجد، ونقضهم للمعاهدة، ورغبة الدولة القاجاريّة بالجهاد بعد يأسها من الصلح.

وقد كانت خطوات السيّد المجاهد في إعلان الفتوى وحكم الجهاد مدروسة، فقد اجتمع بالعلماء، وكان رأي العلماء هو إعلان فتوى الجهاد مباشرةً، إلّا أنّ السيّد المجاهد استمهلهم، وبعث رسولاً إلى الدولة القاجاريّة، لمعرفة رأي الملك أوّلاً، وإعلامه بحكم الجهاد، وبذلك كانت الدولة القاجاريّة مواكبة لفتوى الجهاد، مسايرة معها.

وكان الناس مبتهجين بالجهاد، وقد غمرهم الفرح والسرور في الدفاع عن الشيعة، حتّى ذكر ويلوك البريطاني أنّ الناس لمّا لم يكن باستطاعتهم زيارة السيّد المجاهد ولقياه، كانوا يقبّلون محمل السيّد، والسلّم الذي يصعد منه[٣].

ح. الإعداد للحرب بخطوات ومراحل مدروسة من قبل السيّد المجاهد ومَن معه:

المرحلة الأولى:

وبالإمكان أن نطلق عليها مرحلة الانتصارات، وتبدأ من انطلاق الحرب في شهر ذي الحجّة من سنة ١٢٤١ هـ، وحتّى غرّة صفر من سنة ١٢٤٢ هـ، وفي هذه المرحلة القصيرة استطاع

١. نفيسي، سعيد، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران: ٥/٢.

٢. الموسويّ، السيّد محمّد شفيع، الروضة البهية في الإجازة الشفيعية: ص٣٦.

٣. نفيسي، سعيد، دين ودولت در ايران: ص١٥١.

الجيش الإيراني أنْ يحقق انتصارات ويوقع هزائم وأضرارًا كثيرة بالجيش الروسي، واستطاع أيضًا بمدة يسيرة أن يسترجع أكثر ما خسره من الأراضي في المعركة الأولى، وقد ذكرت التواريخ القاجاريّة هذه الانتصارات بكلّ تفاصيلها[١].

وقد كان العلماء بما فيهم السيّد المجاهد مشرفين على أمور الحرب، ومتابعين لجزئيّاتها، يتنقلون بين صفوفهم، ويشرفون على جميع جبهات الحرب، فقد نصّ الميرزا فضل الله الشيرازيّ على أنّ السيّد المجاهد ومَن معه من العلماء والفضلاء انتقلوا من دار السلطنة تبريز إلى ولاية طالش، حيث قال: «وجناب الآقا السيّد محمّد [المجاهد] وسائر المجتهدين والفضلاء اتّجهوا يوم الخميس ١٤ [ذي الحجّة الحرام] مع الحاج محمّد خان دولوي القاجار وجماعته إلى جانب ولاية طالش»[٢].

وقد ذكر في كتاب فارسنامه ناصري أنّ سبب تلك الانتصارات واسترجاع إيران ما خسرته من الأراضي في مدّة أربعة عشر عامًا بمدّةٍ يسيرةٍ جدًّا هو أثر العلماء والمجتهدين، ومشاركتهم في الجهاد جنبًا إلى جنب المجاهدين[٣].

ولم يكن الشعراء بعيدين عن الساحة، فقد جاشت قرائحهم بقصائد في مدح السيّد المجاهد ومن معه من المقاتلين، فممن صدح صوته بذلك: الأديب الفاضل الملاّ مهر علي الخوئي التبريزيّ، والأديب الميرزا محمّد صادق الطالقانيّ المتخلّص بـ: (شفيق)[٤]، كما نظم الفقيه المولى النراقيّ أيضًا قصيدة جهادية في أثناء حضوره في المعركة.

المرحلة الثانية:

وهي تبدأ من صفر سنة ١٢٤٢ هـ إلى جمادى الآخرة من تلك السنة، وفيها خسرت إيران في جبهتين، الأولى في المعركة خارج گنجة، حيث قُتل القائد أمير خان، وقد خان بعض قادة

١. علي أصغر شميم، ايران در دوره سلطنت قاجار، انتشارات بهزاد، طهران، ١٣٨٧هـ ش، ص٩٩؛ حسن حسيني، فارسنامه ناصري، ٧٣٠/١.

٢. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية): ٦١٨/١.

٣. حسن حسيني، فارسنامه ناصري: ٧٣١/١.

٤. ينظر مخطوطة مجلس الشورى بالرقم: ١٢٠٢.

الجيش كنظر علي خان، ولم يُهيّأ عتاد الجيش، فقُتل نظر علي خان المرندي بأمر عباس ميرزا[١].

وفي هذه الأثناء كانت إيران قد حاصرت قلعة شوشا، وكادت أنْ تنتصر، فأرسل القائد الروسي إلى وليّ العهد عباس ميرزا أن سوف نسلّم القصر في ثلاثة أيام، وقد وقع الخلاف بين قادة الحرب في فكّ الحصار، وكان قائمقام الفرهاني من المعارضين، فنفاه عباس ميرزا إلى مشهد[٢]، وأمر بفكّ الحصار، وقد كانت خدعةً حربيّةً، فهاجم الروس الجيش الإيراني من الطرفين، فهزموه كما في گنجة[٣].

وفي هذه المرحلة وقع الاختلاف في مركز القيادة في الجيش الإيراني، وخرج العلماء من الحرب؛ لما شاهدوه من التقصير في المعركة، وخيانة القادة، وأنّ الدولة ليس همّها استنقاذ الشيعة من ظلم الروس، وبخروج السيّد المجاهد خرج سائر العلماء من المعركة[٤].

وقد ذكر في قصص العلماء أنّ الشاه القاجاريّ اجتمع بالعلماء لمدارسة أمور الحرب حيث قال: «وقد ظفر نائب السلطنة في بدء الأمر ثمّ غُلب على أمره، فعرض خبر هزيمته على فتح علي شاه، فسأل فتح علي شاه بحضرة العلماء الأعلام عن نضال أمير جيشه وعميد معسكره نائب السلطنة فظلّ بلا جواب، فأعاده ثلاثًا، فقال الشهيد الثالث [الشيخ محمّد تقي البرغاني القزوينيّ] في الكرّة الثالثة: إنّي عارف بخبره، ولكن تفصيله متوقّف على حكاية مختصرة، وهي: أنّه كان في بني إسرائيل عابدٌ معتكف في صومعته يعبد الله سبحانه، وكانت قرب صومعته شجرة طويلة، ينزل أصحاب القوافل تحتها ويستظلّون بظلّها، غافلين عن أنّ ثمّة سرّاقًا يأتونها ليلاً فيختبئون بين أغصانها، فلمّا يأخذهم المنام يخرجون عن أوطان تلبّدهم فيداهمونهم غيلة وينهبون أموالهم على غفلة منهم، فعزم العابد متقرّبًا إلى الله على اجتثاث تلك الشجرة، واقتلاعها من جذرها؛ كيلا يختبئ السرّاق بين غصونها منعًا وتجنّبًا لإراقة دماء الناس وحفاظًا على أموالهم من إفساد المفسدين، فخرج على نيّته، وبلغ تلك الشجرة، وأخذ في اجتثاثها، فتمثّل له الشيطان آدميًا وتشاجر معه، ومنعه من أن يفعل ذلك.

---

١. المدني، السيد جلال الدين، تاريخ إيران السياسي المعاصر، ١٩١/١.

٢. يحيى آرين بور، از صبا تا نيما، ٦٣/١.

٣. المدني، السيد جلال الدين، تاريخ إيران السياسي المعاصر، ١٩١/١؛ آهنگ سروش: ٢٤٧ - ٢٤٨.

٤. سعيد نفيسي، دين و دولت در ايران: ١٥٤.

فتنازعا، واتّفقت كلمتهما على المصارعة، فألصقه العابد بالتراب، وأراد قطع وتينه، ولكنّه حيث كان من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم؛ فلذا أمسك العابد يده عن قتله، فرجع الشيطان إلى مثواه، ثمّ بتر العابد نصف تلك الشجرة. فلمّا جنّ عليه الليل حدّث نفسه، فقال: أرجع الليلة، وأغدو على اقتلاع ما بقي منها في الصباح، فرجع إلى صومعته، وظلّ يفكّر بما أتى به من قطع نصف الشجرة وذهابه غدوةً إلى قطع ما بقي منها تخليصًا لأصحاب القوافل من شرّ المفسدين.

فالآن قد سنحت الفرصة، ومُنحت الفسحة، حتّى آخذ الأجرة منهم قبال ذلك؛ فأوسّع على نفسي، فسار غدوةً إلى قطع ما بقي من تلك الشجرة، فلمّا همّ بذلك فإذا الشيطان قد عاوده ثانيةً، وردعه من فعل ذلك، فآل الأمر إلى المصارعة، ولكنه قد غُلب هذه المرّة، فألصقه الشيطان بالتراب، ثمّ استوى على عرش القضاء فحكم عليه بعدم اجتثاث الشجرة. فلمّا كانت نيّة العابد في أوّل يومه خالصة لوجه الله غلب الشيطان، ولكنّه قد تطرّقت في اليوم الثاني إلى نيّته شوائب فغُلب وانقلب خاسرًا.

والحاصل: أنّ مَثل الأمير نائب السلطنة إنّما هو مَثل هذا العابد فإنّه لما كانت نيّته في دعواه الأولى خالصة لوجه الله انتصر على الجيش الروسيّ، ولكنّه صارت نيّته في الجولة الثانيّة مشوبة بالهواجس النفسانيّة فغُلب فانقلب خاسرًا»[١].

وأراد الشهيد الثالث الملاّ محمّد تقي البرغانيّ أن يُوصل رسالة إلى السلطان فتحلي شاه القاجار، أنّ الدولة لم يكن همّها استنقاذ الشيعة من مخالب أعدائهم بقدر ما كانت عنايتهم استرجاع الأراضي، واتّساع رقعة الحكومة، وهو حال الحكومات والدول من الاستنجاد بالعلماء عند افتقاد سائر السبل لتحقيق أهدافهم.

المرحلة الثالثة:

وتبدأ هذه المرحلة من جمادى الآخرة من سنة ١٢٤٢ هـ إلى ذي الحجّة من السنة نفسها، وفي هذه المرحلة جنحت الدولة الإيرانيّة إلى الصلح، وأرسلت إلى روسيا بذلك فلم تجد تجاوبًا.

وفي هذه المرحلة كانت المعركة مستمرّة، إلاّ أنّ التقدّم كان للجيش الروسي، فأخذت من إيران ما خسرته في المعركة الأولى، وحاول الروس السيطرة على إيروان فلم يستطيعوا لمقاومة

١. التنكابني، محمد بن سليمان، قصص العلماء:٥٤.

الناس فيها، وفي ٢٧ من ذي الحجّة الحرام سنة ١٢٤٢ هـ سلّم إحسان خان قلعة عباس آباد إلى الروس، كما سلّم أخوه شيخعلي خان قلعة أردوباد إليهم[١].

المرحلة الرابعة:

وتبدأ هذه المرحلة من ذي الحجّة سنة ١٢٤٢ هـ إلى آخر الحرب في شعبان سنة ١٢٤٣ هـ، وفي هذه المرحلة حاول عباس ميرزا استرجاع بعض الأراضي، وقد كان موفّقًا في إيقاع الخسائر بالجيش الروسي، إلّا أنّه استمدّ من أبيه فتحعلي شاه القاجار العون والمدد، فلم يساعده في ذلك، حتّى انقلبت الأمور، وخسر الجيش الإيراني خسائر فادحة[٢].

ولمّا لم يجد الجيش الروسي حراكًا من الجيش الإيراني هجم على إيروان، وبعد معركةٍ داميةٍ استمرّت ثمانية أيّام، ومقاومة بطوليّة من أهاليها، استولت الروس على إيروان في ١٤ربيع الأوّل من سنة ١٢٤٣هـ[٣].

واستطاع الروس أنْ يدخلوا إلى تبريز، فانبرى حاكمها آصف الدولة إلى محاربة الروس، ولم ينهض معه أهل تبريز؛ لما شاهدوا منه من الظلم والاستبداد، وهكذا وقعت تبريز بيد الروس في ٣ ربيع الآخر سنة ١٢٤٣ هـ بدون أيّ مقاومة من أهلها[٤].

وانتهت المعركة في شعبان سنة ١٢٤٣ هـ، بمعاهدة تركمانچاي، والتي تنازلت إيران على إثرها عن ولاية إيروان ونخجوان.

وأسباب الخسارة في هذه المعركة أمور كثيرة أهمّها: التساهل في أمر المعركة من قبل الحكومة القاجاريّة، وتقصير الشاه في إرسال العدّة والمدد إلى الجيش[٥]، وخيانة بعض الوزراء

---

١. المدني، السيد جلال الدين، تاريخ إيران السياسي المعاصر، ١٩٣/١ -١٩٤.

٢. گرانت واتسن، تاريخ ايران دوره قاجار، ترجمة وحيد مازندراني، دار سيمرغ، ١٣٥٦هـ ش، ص٢٢٠؛ المدني، السيد جلال الدين، تاريخ إيران السياسي المعاصر، ١٩٣/١.

٣. المدني، السيد جلال الدين، تاريخ إيران السياسي المعاصر، ١٩٨/١.

٤. سعيد نفيسي، دين ودولت در ايران: ص١٥٥.

٥. آهنگ سروش: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ ولاحظ: جهانگير قائم مقامى، نامه هاي پراكنده قائم مقام، بنياد فرهنگ، ايران، ١٣٥٧هـ ش، ص٨٩ - ٩١.

والقادة المحلّيّين لتلك الولايات كخيانة أبي الحسن الإيلجي[١]، وخيانة نظر علي خان، وأخويه شيخ علي خان وإحسان خان[٢]. وغير ذلك من الأسباب[٣].

د. محاولة اغتيال السيد المجاهد:

لقد حاول المغرضون أن يلقوا بأعباء هذه الحرب وما جرى فيها من هزائم على عاتق السيّد المجاهد، وألقوا التقصير في ذلك على السيّد، وقد اتّضح لك زيف هذا الأمر ممّا تقدّم وممّا سيأتي من عدد العلماء الذين التفّوا حول السيّد المجاهد وساندوه في هذه الحرب، وممّا يؤسف له أنّ هذا الاتهام بدأ منذ بداية تحرك السيّد المجاهد للحرب، حتّى خطّط عدّة من الأوباش لقتله، جزاءً لجميله، وشكرانًا لإحسانه!

قال وقائع نگار المروزي: «وقد تواطأ عدّة لقتل السيّد [المجاهد]، إلّا أنّ الشاه اطّلع على الدسيسة قبل الموعد المقرّر، والليلة المزمع فيها هجوم الناس على بيت السيّد واغتياله، فذهب الشاه إلى بيت السيّد بحجّة زيارته، فباءت خطّتهم بالفشل، وفي غد تلك الليلة اصطحب الشاه

١. آهنگ سروش: ٤٦٩.

٢. تاريخ نو: ٧٢ و ٧٩ - ٨٢، روايت هاي إيراني جنك هاي إيران وروس: ١١٩ -١٢٠.

٣. وجاء في هامش ترجمة الميرزا باقر الخليليّ (ت١٣٣٣هـ) من كتاب معارف الرجال للشيخ حرز الدين: أن أستاذ الخليليّ الشيخ عباس التركيّ كان راوية لأحداث عصره وعصر والده، ومن جملة ما روى عن والده أحداث حرب الروس في زمن السيّد المجاهد، قال: ازدلف أهل إيران لحرب الروس من كلّ جانب حتّى تقهقر الروس عما تقدّموا إليه من بلدان إيران، وكان من جملة العلماء الذين قادوا المجاهدين السيّد محمّد المجاهد وكان معظّمًا مبجّلاً مطاعًا، تعتقد به الناس اعتقاد الأولياء.

وقد توضّأ يومًا للصلاة في حوض ماء كبير يعرف هناك (بدرياجه) فأخذ الناس ماءه في قوارير وغيرها حتّى نضب ماؤه، وكان المجاهد يجلس لهم في الطريق ويرشدهم ويقوي عزيمتهم على مقابلة جيش الروس، ولما استرجع الروس مواضعه التي تقهقر عنها اجتمع جل المعارف في إيران وفيهم المولى أحمد النراقيّ صاحب (المستند، والعوائد) المتوفىّ سنة (١٢٤٥هـ).

جاء الميرزا محمّد علي ولي عهد فتح علي شاه [كذا في المصدر] ليحضر هذا الاجتماع فلم يعتن به ولم يوسع له في المجلس، وجلس بين أيديهم فأصابته الدهشة حتّى سقطت قلنسوته من رأسه لما لاقاه من الإهانة، فقام بلا جواب ولمّا عاد زحف الروس على إيران وتقابل الجمعان وثبت المجاهدون للمدافعة بإخلاص وعقيدة، فطلب الروس الهدنة والصلح مع بذل غرامات الحرب إلى حكومة إيران فلم يرض أقطاب المجاهدين؛ لأنّهم طمعوا بالظفر الباهر، (فأرسل الروس ممثلهم إلى ولي العهد المذكور وقائد القوّات من حيث يخفى: أن يتقهقر الجيش الإيراني مقدارًا معيّنًا على شريطة أنْ يكون هو السلطان بعد أبيه، فقبل بذلك وثار المجاهدون بما لديهم من السلاح والقوّة في ناحية والجيش الإيراني في أخرى ينسحب خيانة، وتبادلوا إطلاق النار ساعات حتّى لم يبقَ منهم أحدٌ لم يهرب إلّا وسقط قتيلاً) [كذا في الأصل]. واحتل الروس (قفقازية) إلى تبريز ودخلوا تبريز ولم يستقيموا بها ولم يكفوا عن الحرب حتّى بذلت حكومة إيران الغرامات الحربية إليهم بعكس الشرط الأوّل. ثم رجع السيّد المجاهد إلى العراق مريضًا مخذولاً ترميه زمرة من الأوباش مرتزقة الحكومة الإيرانيّة بالحجارة. حرز الدين، الشيخ محمد، معارف الرجال، ١٣٥/١-١٣٦، (الهامش).

السيّد معه إلى ثلاثة فراسخ من مراغة»[١].

وذكر ذلك أيضًا الميرزا فضل الله الشيرازيّ بتفصيل أكثر، حيث قال ما مضمونه: وكان جناب الآقا السيّد محمّد وسائر الفضلاء في هذه المدّة في دار السلطنة تبريز، وكان العوام بجهات مختلفة يتجاسرون عليهم، حتّى قتل سيّد جليل القدر من خطباء تبريز في ذلك النزاع، وكان العوام يرون جناب السيّد مقصّرًا، ولم يأبوا عن قتله، ولمّا كان جناب أمين الدولة عبد الله خان متعهّدًا بضيافة المجتهدين، رفع تلك القضية إلى جناب الملك، فدخل الشاه لزيارة جناب السيّد محمّد وسائر الفضلاء، وأزال ما في خاطره الشريف من التكدّر، فلم يقدروا على ما كانوا ينوون عليه[٢].

ولا يبعد أن يكون السيّد المجاهد مات مسمومًا، حيث نصّت التواريخ القاجاريّة على تدهور صحّة السيّد المجاهد، فقد ذكر لسان الملك سپهر قائلاً: «وفي هذه الأثناء خرج من الاعتدال مزاج جناب الآقا السيّد محمّد [المجاهد] الذي كان فحلاً من فحول علماء إيران، وخرج من تبريز، وقد ابتلي بالإسهال، حتّى ودّع هذه الدنيا الفانية»[٣]. وذكر الميرزا فضل الله الشيرازيّ أنّ السيّد المجاهد مرض في تبريز، فخرج منها وتوفّي في الطريق بمرض الإسهال، ثمّ ذكر قصيدة أنشأها في رثاء السيّد المجاهد[٤].

ثانيًا: العلماء الذين حضروا معه في جهاد الروس

عندما عزم السيّد على مجاهدة الروس التفّ حوله جمع غفير من أهل العِلم من تلامذته وأساتذة الحوزة العلميّة في ذلك الوقت سواء في إيران أو في العراق، يقول السيّد الجابلقي: «ذهب السيّد الأستاذ نفسه أيضًا مع جمع كثير من العلماء والطلاّب والمتديّنين والصلحاء»[٥]، ويقول التنكابنيّ: «عندما ذهب السيّد محمّد في سفر الجهاد كان أكثر العلماء الإيرانيّين معه، ومنهم الملاّ محمّد تقي البرغانيّ»[٦].

١. منوچهر اسكندرى، حسين آذر، آهنگ سروش، ص٢٥١.

٢. تاريخ ذي القرنين: ٦٢٨/١.

٣. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية): ٣٧٤/١.

٤. تاريخ ذو القرنين: ٦٣٠/١.

٥. الموسويّ، السيّد محمّد شفيع، الروضة البهية في الإجازة الشفيعية: ص٣٦.

٦. يُنظر: التنكابني، محمد بن سليمان، قصص العلماء ص٤٤.

والتتبّع في كتب التراجم وقفنا على أسماء بعض العلماء الذين حضروا معه الحرب المذكورة، ومن المؤكّد أنّه قد غاب عنّا كثير من رجالات العِلم الذين آزروا السيّد في جهاده المبارك، فمن هؤلاء العلماء الأفاضل الذين وقفنا عليهم ممّن كانوا معه:

١. المولى آقا بن عابد بن رمضان بن زاهد الحائريّ المعروف بالفاضل الدربنديّ (ت١٢٨٥هـ)[١].

٢. السيّد الميرزا إبراهيم ابن السيّد عبد الفتّاح اليزديّ[٢].

٣. السيّد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط (١٢١٤-١٢٦٢أو ١٢٦٤هـ)[٣].

٤. السيّد أبو الحسن الحسينيّ الأصفهانيّ المعروف بـ(خوش مزّة ق ١٣)[٤].

٥. الشيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد الخوئينيّ (ت١٢٤٥هـ)[٥].

٦. المولى الشيخ أحمد بن محمّد مهدي النراقيّ (ت١٢٤٥هـ)[٦].

٧. الملاّ أحمد أخو الشيخ المولى محمّد جعفر الاسترابادي شريعتمدار (ق١٣هـ)[٧].

٨. الملاّ أحمد التبريزيّ (ق١٣هـ)[٨].

٩. السيّد حسين الطباطبائيّ ابن السيّد المجاهد (ت ١٢٥٠هـ)[٩].

---

١. يُنظر: البابلي، أبو الفضل حافظيان، رسائل في دراية الحديث، ٦٩/٢.

٢. يُنظر: العامليّ، السيّد محسن عبد الكريم الأمين، أعيان الشيعة، ١٧٦/٢.

٣. مهدوي، مصلح الدين، بيان المفاخر، ٩١/١.

٤. العامليّ، السيّد محسن عبد الكريم الأمين، أعيان الشيعة ٣٢٦/٢؛ موسوعة مؤلفي الإمامية: ٣٦٦/١.

٥. ينظر: الطهراني، الشيخ آغا بزرك، الكرام البررة، ص١١٦، الرقم: ٢٢٥.

٦. النراقي، أحمد بن مهدي، عوائد الأيام، ص٥٢ (المقدمة).

٧. الأمين، حسن، دائرة المعارف الشيعية، ١٠١/٢.

٨. تاريخ نو: ١٤.

٩. بيان المفاخر: ٩١/١.

١٠. الميرزا خليل بن الشيخ علي الرازيّ (ق١٣هـ)[١].

١١. السيّد خير الدين بن المير خير الله بن السيّد رحمة الله الهندي الإله آبادي الحائريّ القزوينيّ (ت بعد ١٢٤٢هـ)[٢].

١٢. الشيخ الميرزا داود بن الشيخ أسد الله بن عبد الله البروجرديّ (ت ١٢٩٨هـ)[٣].

١٣. الملاّ رضا الخوئي الآذربايجانيّ، وهو الذي أوصل رسالة السيّد المجاهد إلى الشاه.

١٤. الشيخ الميرزا ضياء الدين بن الشيخ أسد الله البروجرديّ (ت سنة ١٣٠٠هـ) تقريبًا[٤].

١٥. الشيخ الآقا عبد الحسين التبريزيّ[٥].

١٦. الشيخ علي بن محمّد ولي القائنيّ الخراشاديّ (ق ١٣)[٦].

١٧. الملاّ محمّد المامقاني[٧].

١٨. الملاّ محمّد ابن الملاّ أحمد النراقيّ الكاشانيّ، كان مرافقًا لأبيه[٨].

١٩. الملاّ محمّد صالح البرغانيّ القزوينيّ (ت١٢٧١هـ)[٩].

٢٠. الشيخ صفر علي اللاهيجانيّ الجيلانيّ (ت ١٢٧٥هـ)[١٠].

---

١. . حرز الدين، الشيخ محمد، معارف الرجال، معارف الرجال: ١٣٥/٢.

٢. الأمين، السيّد حسن بن محسن، مستدركات أعيان الشيعة: ٧٤/٢٣.

٣. ينظر: الأمين، السيّد حسن بن محسن، مستدركات أعيان الشيعة: ١٥٠/٥.

٤. المصدر نفسه، ١٠٨/٤.

٥. تاريخ نو: ١٤.

٦. بيان المفاخر ٩١/١؛ سعيد نفيسي، دين ودولت در ايران: ص١٥٠.

٧. تاريخ نو: ١٤.

٨. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية): ٣٦٦/١.

٩. ينظر العامليّ، السيّد محسن عبد الكريم الأمين، أعيان الشيعة، ٣٦٩/٩.

١٠. ينظر السبحاني، الشيخ جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء، ٣١٣/١٣.

٢١. الشيخ المولى محمّد تقي البرغانيّ الشهير بالشهيد الثالث (ت١٢٦٣هـ)[١].

٢٢. الشيخ المولى محمّد جعفر ابن المولى سيف الدين الاستراباديّ الطهرانيّ الشهير بشريعتمدار (ت١٢٦٣هـ)[٢].

٢٣. الشيخ محمّد حسين بن معصوم البروجرديّ. (ت سنة ١٢٨٠هـ) تقريبًا[٣].

وهؤلاء هم بعض من حضر ممّن ورد اسمهم في طيّات المصادر التاريخية، على أنّ المذكورين هم فطاحل العلماء وأجلاء الطائفة، وهناك كثير ممّن خفيت علينا أسماؤهم، وقد ذكروا أنّ عدد العلماء الذين حضروا معركة الروس قرابة خمسمائة عالم[٤].

١. ينظر الكرام البررة، الطهراني، الشيخ آغا بزرك ص٢٢٦، الرقم: ٤٥٩.

٢. المصدر نفسه، ص٢٥٣-٢٥٤، الرقم: ٥٠٧.

٣. ينظر الأمين، السيّد حسن بن محسن، مستدركات أعيان الشيعة، ٢٦٧/٦.

٤. بيان المفاخر، ٩١/١.

فهرس المصادر

١. العامليّ، السيّد محسن عبد الكريم الأمين، (ت: ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق وإخراج: حسن الأمين، نشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٥.

٢. النقويّ، السيّد علي نقي، أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات، (ت:١٤٠٨هـ)، تقديم: السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ، نشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة، ط١، ١٤٣٧هـ.

٣. كاشف الغطاء، الشيخ علي، الحصون المنيعة(مخطوط).

٤. آقا بزرگ،الطهرانيّ الشيخ محمّد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة (ت: ١٣٨٩هـ)، نشر: دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٥. البابلي، أبو الفضل حافظيان، رسائل في دراية الحديث، س دار الحديث للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٣٢هـ.

٦. الخوانساري، السيّد محمّد باقر الموسويّ (ت: ١٣١٣هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

٧. الموسويّ، السيّد محمّد شفيع، الروضة البهية في الإجازة الشفيعية، (ت: ١٢٨٠م)، تحقيق: السيّد جعفر الحسينيّ الإشكوريّ، نشر: مؤسّسة تراث الشيعة، قم المشرفة، ط١، ١٣٩٢ش.

٨. آقا بزرگ،الطهرانيّ الشيخ محمّد محسن، الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة (١٣٨٩هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٩م.

٩. الأمين، السيّد حسن بن محسن (ت: ١٣٩٩هـ)، مستدركات أعيان الشيعة، نشر: دار التعارف للمطبوعات، سوريا، ١٤٠٨ق.

١٠. حرز الدين، الشيخ محمّد بن علي (ت: ١٣٦٥هـ)، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، تعليق: محمّد حسين حرز الدين، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المشرفة، ١٤٠٥ق.

١١. الطباطبائي، السيّد محمّد بن مير علي، المعروف بـ(السيد المجاهد) (ت: ١٢٤٢هـ)، مفاتيح الأصول(مخطوط).

١٢. السبحانيّ، الشيخ جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق، مؤسّسة الإمام الصادق، قم المشرفة، ط١، ١٤١٨ق.

١٣. التنكابني، محمد بن سليمان، قصص العلماء ترجمة، الشيخ مالك وهبي، دار ذوي القربى، ط١، قم المقدسة، ١٣٨٤هـ ش.

١٤. القصير، محمد علي، بيوتات كربلاء القديمة، مؤسسة البلاغ، ٢٠١١م.

١٥. سبهر، محمد تقي، ناسخ التواريخ (القاجارية)، مؤسسة المطبوعات الدينية، قم المقدسة، ١٣٥١هـ ش.

١٦. سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران، دين ودولت در ايران، انتشارات بنياد، ١٩٩٧م.

١٧. مهدي بامداد، شرح حال رجال ايران، كتابفروشى زوار، ١٣٥٧هـ ش.

١٨. علي أصغر شميم، ايران در دوره سلطنت قاجار، انتشارات بهزاد، طهران، ١٣٨٧هـ ش.

١٩. حسن حسيني، فارسنامه ناصري، مصحح، منصور رستكار، الناشر امير كبير، ١٣٨٧هـ ش.

٢٠. يحيى آرين بور، از صبا تا نيما، دار سهامي كتابهاي جيبي، ١٣٥١هـ ش.

٢١. مهدوي، مصلح الدين، بيان المفاخر، كتابخانه مسجد سيد أصفهان، ط٢، ١٣٦٨هـ ش.

٢٢. النراقي، أحمد بن مهدي، عوائد الأيام، دار الهادي للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٣. الأمين، حسن، دائرة المعارف الشيعية، دار التعارف للمطبوعات، ط٦، لبنان_ بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠١١م .